النساء الرجال

اطلعنا على الفصل التالي في احدى المجلاَّت الفرنساوية فرأينا ان نترجمه لما فيه من بيان فضل المرأة الغربية ، وفوزها على الرجل في كثير من الاعمال الجلّى التي قلما يقدم عليها غير الشجاع الباسل. وهو مكتوب بقلم السيدة «ريموند دلاروش» « الطيَّارة » الفرنساوية التي أدهشت بطيرانها المتفرجين في حفلة « عين شمس » بمصر في شتاء سنة ١٩١٠ . وقد أرادت بنشره أن تردَّ على جمهور من الكتَّاب قام ينتقدها على أثر سقوطها من الجوّ في حفلة الطيران في مدينة « ريمس » ويُعنِّف من أجلها سائر النساء بدعوى ان المرأة لا تستطيع ما يستطيعه الرجل

قالت الكاتبة :

تعجب بعضهم من إقدامي على الطيران ، وادهشتهم جراتي ومخاطرتي أحياناً كثيرة بدعوى ان الطيران خاص بالرجال لا يتعداهم الى النساء . ثم انقلب تعجّبهم ودهشتهم الى انتقاد وتأنيب يوم وقعتْ بي طيارتي في مدينة « ريمس » فأصبتُ ببعض الجراح والرضوض ؛ ولو أسعدني الحظ فلم أقع لحوَّل اولئك الناس تعجبهم ودهشتهم الى اعجاب بفضلي ، واقرار بعلمي ، وكان مديحهم لي وثناؤهم على جراءتي وخبرتي بدلاً من الانتقاد والتأنيب اللذين وجهوهما اليَّ ! او لم يقولوا علناً على أثر إصابتي تلك انني حصدت ما زرعت ، ولقيت ما سعيت اليه ؟ ؟

قلت مراراً عديدة من قبل ، وأنا اكرّر اليوم ما قلتهُ بالأمس ان الطيران ليس بأعظم خطراً من سواه بين أنواع الرياضات البدنية والاختراعات المعدة لها . واذا جاز لي أن أتباهى بكوني أول امرأة لامست

الغيوم ، وصعدت الى عالم النجوم فأشرفت من أعالي الفضاء على هذه الأرض ، وقسم لها شؤم حظها ان تقع مرة من شاهق فتصاب بالجراح والرضوض ، فاني لست المرأة الاولى التي قارعت الرجال في كثير من أنواع الرياضة ، وركبت من الاخطار كل مركب صعب ، فدلّت على جلد ثابت ، وشجاعة فائقة

ان نساء كثيرات وأخص الانكليزيات والاسوجيات والدانماركيات بلغنَ حداً قاصياً في اتقان بعض الرياضات كالجمنستيك ، وكرة القدم بجميع أنواعها ، والسباحة ، ولعب السيف ، وركوب السيارات والدرّاجات وهلمَّ جرًّا من أمثال هذه الفنون المروّضة التي اختصَّ بها الرجال دون النساء !

ولقد وددت لو تمكنت من ذكر جميع الشهيرات في العالم في مثل هذه الاعمال غير اني سأقصر كلامي على بعضهنَّ مخافة أن يطول المجال . وسيرى القاري ، من خلال حديثي هذا ان في وسع المرأة ان تسير الى جانب الرجل وترفع رأسها تباهياً وكبراً

* * *

جرَّب كثيرون أن يقطعوا خليج « المانش » سباحة فلم يُفلح منهم سوى القبطان « وب » في سنة ١٨٧٥ على انهُ كان بين أولئك المجرّبين امرأتان اشتهرتا بإقدامهما ، احداهما البارونة « فالبوكا دساسكو » والثانية الآنسة « كلارمن »

أما الأولى وهي نمسوية اشتهرت بالسباحة في نهر الدانوب (الطونه)

ومصادمة التيار فيهِ ، فانها نزلت البحر في « كاله » في الساعة السابعة من صباح اليوم الخامس من سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠٠ فعاكسها التيار وتقاذفتها الامواج واللجج نحواً من ست ساعات متوالية حتى خارت قواها فأقرّت بفشلها بادىء ذي بدءٍ حتى اذا أراد المركب الذي كان يرافقها أن ينقلها اليهِ أبت عليها كبرياؤها الاقرار بالعجز فعادت تعارك الامواج وتغالب اللجج حتى كانت الساعة الخامسة مساءً فتلاشت قواها تماماً ولم يعد في وسعها الثبات فأعلنت عجزها بعد مكافحة عشر ساعات . وكانت المسافة التي قطعتها ثلاثين كيلومتراً

وأما الثانية فنزلت الى البحر من « دوڤر » في صباح اليوم السادس والعشرين من اغسطس سنة ١٩٠٥ فسبحت ست ساعات متوالية وكاد يسعدها الحظ ببلوغ أمنيتها لولا ان عاكستها الريح بعد ذلك وغالبها التيار فلم تتمكن من قطع ما كان قد بقي أمامها من المسافة الى البرّ الفرنساوي . ومما يؤثر عن هذه المرأة انها قطعت سباحة مسافة ٣٧ كيلومتراً في ثلاث ساعات واحدى عشرة دقيقة

وبين النساء السبّاحات كثيرات اشتهرنَ بجلدهنّ وقوتهنّ وإقدامهنّ على منازعة الرجال الجوائز في السباقات المتنوعة ، وأشهرهنّ الاختان الشقيقتان « مارث وسيسل روبرت » السويسريتان ، والآنسة « مارڤنت » الفرنساوية ، والآنسة « فردندوفر » النمساوية ، والآنسة « جونسون » الانكليزية

وقد طالما وضعت أندية الألعاب المروّضة في الدانمارك جوائز كبيرة

للسابقين في السباحة فنال كثيرات من النساء عدداً منها بعد أن زاحمنَ أشهر السباحين في سبيلها فتغلبنَ عليهم ، وعرف الجميع مقدرتهنّ وسبقهنّ في هذه الرياضة الخطرة المتعبة فأقرّوا لهنّ بالفضل

ومن الاعمال التي اختص بها الجنس القويّ دون الجنس الضعيف التصعيد في الجبال العالية المغطاة قممها بالثلوج ، والمحفوفة سبلُها بالاخطار والمكاره كجبال « الألب » في أواسط أوروبا

كل من زار سويسرا في الصيف عرف ان كثيرين من الاجانب عنها انما يؤمونها بغية التصعيد في جبالها فيسير الواحد منهم متوكئاً على عصا طويلة صلبة يغرزها قدامه في الثلج ويتنقل وراءها بحذر وانتباه شديدين مرتقياً قمة فقمة ، وهو لا يأمن ان تزلّ بهِ القدم فيهوي من شاهق الى أسفل حيث لا ينجو من الهلاك الا باعجوبة بالغة . وكثيراً ما تتدحرج عليهِ القطع العظيمة من الثلوج فيموت شرّ ميتة . فلهذا كله كان التصعيد في تلك الجبال عملاً شاقاً خطراً لم يقدم عليهِ الا الشجاع الباسل واذا أقدم فمجازفة بحياته طلباً للشهرة . على ان كثيرات من النساء قد صعّدنَ في جبال « الالب » وفزنَ بالغاية القصوى منها . فان مسز « سايرس » الانكليزية فازت مرتين ، والآنسة « كرونبرجر » مرتين ايضاً . ومدام هو بلر مرتين ايضاً وكان زوجها رفيقها فيهما . وفازت مدام « رهاتش » مرة برفقة زوجها ايضاً ، ومدام «فون شزايو» مرتين ايضاً وكان رفيقها فيهما مسيو « اولر » . فكان فوز اولئك النساء مدعاة لاعجاب الناس واكبارهم هذه الاعمال الشاقة تأتيها المرأة المنسوب

جنسها الى الضعف والوهن

واشتهر عن الرجل دون المرأة ايضاً اطلاق المسدسات ، واتقان الاصابة بها . غير ان بعض النساء اللواتي جرّبنَ هذا العمل برعنَ فيه براعة أقرّ بفضلها الرجال أنفسهم . فان ساره برنار الممثلة المشهورة معروفة بأنها قلما صوّبت فأخطأت . ومثل ساره برنار الآنسة « لويزا بايما » فان شهرتها في ذلك لا تقلّ عن شهرة زميلتها الممثلة الطائرة الصيت

ومما يؤثر عن براعة النساء في الاصابة بالرصاص ان الماركيزة « دي نسل » غارت من الكونتس « پولينياك » وكلتاهما كانت تحب الدوق ريشيليو ، فتبارزتا واختارتا الرصاص دون السيف وقد كانتا مشهورتين باتقان الرمي ولا تخطئان المرمى الا نادراً . فلما تقابلتا في ساحة البراز أطلقت المركيزة رصاصها أولاً فأخطأت مرماها عمداً غير ان الكونتس اكتفت يومئذٍ بان تقطع برصاصها اذن ضرّتها عقاباً لها . وممن اشتهر بهذا الفن البرنسيس تشيكا الرومانية فانها كسرت ١٥ لعبة بخمس عشرة رصاصة بعد التصويب ، وحطمت تسعاً أخرى باثنتي عشرة رصاصة أطلقتها متتابعة بدون تصويب بل تبعاً لاشارة المشاهدين

أما المبارزة بالسيف فقد اشتهرت بها نساء كثيرات ايضاً لأن في هذه المبارزة مجالاً للمرأة لأن تستخدم نظراتها الحادة الصائبة ، ورشاقة قدها ، ولين أعضائها ، وخباثتها الفطرية . وان في تاريخ انكلترا شاهداً بليغاً يصحُّ ان يتخذ دليلاً على براعة النساء بالمبارزة . فقد حدث في اليوم التاسع من اقريل سنة ١٧٨٧ ان الشقاليه « سان جورج » وهو أعظم

من اشتهر بضرب السيف واتقان المبارزة بهِ بارز السيدة « ديون » الانكليزية في منزل لورد « بروكهام » بحضرة ولي عهد انكلترا يومئذٍ وعدد غفير من لوردة الانكليز ، وكبار رجالهم . فأسفرت المبارزة عن اصابة السيدة « ديون » للشقاليه سان جورج سبع مرات متوالية بدون ان تمكنهُ من اصابتها مرة واحدة . اما اليوم فان انكلترا وفرنسا تتباهيان بوجود نساء عارفات بهذا الفن كمسز سندرسون ومدام فيني في لندن ، ومدام اميل مارينياك ، والآنسة كاميل ليففر في باريس »

وانتقلت مدام دلاروش من هذا الحديث في مقالها الى ذكر الشهيرات في ركوب الدرّاجات والسيّارات ، فسمّت النساء الشهيرات فيهما وذكرت عدداً من اللواتي ربحنَ الجوائز وفزنَ بها على الرجال وذلك في حديث يطول ، حتى انتهى بها البحث الى الطيران فقالت انها أول امرأة طارت . ولكنها ليست بالطيّارة الوحيدة الموجودة اليوم بين جماعة الطيّارين

ثم قالت انها ذكرت يسيراً من كثير عن شجاعة المرأة وإقدامها وتفوّقها في هذه الاعمال المختصة بالرجال دون النساء . وتقول — ونحن قد اختصرنا أقوالها كثيراً ايضاً وصرفنا النظر عن أعمال وألعاب جلّى فلم نذكرها — هل يصح بعد ذلك ان يقال « الجنس القوي » و « الجنس الضعيف » على تعميم واطلاق هاتين الصفتين ؟ ؟